الشريرة التي ادعت عند الاستنطاق ان الابنة ابنها وانها حرة في تربيتها غير ان كلام الابنة وشواهد الحال كذبتها تكذيباً صريحاً ولذلك اودعت احماق السجن مع رفيقتها الى ان يتم الاستنطاق — نجيب كنعان

﴿ هو الباقي ﴾

قد انتقل الى رحمته تعالى وجيه قومه الاديب البارع نسيم افندي نوفل في ثغر الاسكندرية فاسف عليه معارفه واصدقاؤه ونحن نشاطر آل نوفل وانسباءهم الحزن على فقيدهم ونرجو لهم الصبر والسلوان

﴿ قولوا ماشئتم والحكم للمستقبل ﴾

نهضت في صباح احد الايام باكراً وكانت الطبيعة هادئة والناس نيام فجلست الى النافذة اروح نفسي بنسيم الصبح اللطيف وانا اشعر بلذة الراحة والسكون وصفاء البال فنسيت الاشغال ومتاعبها والحياة ومصاعبها واخذ فكري يحوم في اعالي طبقات الخيال متنقلا من تصور الى آخر تنقلا سريعاً لادخل لارادتي وانانيتي فيه الى ان استوقفته الذاكرة فادارته نحو الماضي فصار يتأمل في افاق بعيدة ومشاهد كاد رسمها ان يمحى الى ان رايتني طفلة صغيرة في احدى ليالي الشتاء محاطة باهلي وذوي وزوار عائلتي حول مستوقد من النار وقد تصدرت الجلسة سيدة مسنة كان لها في اعتباري بل واعتبار الحضور مقام اي مقام وكنا نحسبها افصح خلق الله وابلغ اهل الارض جميعاً لانها كانت تقص علينا دائماً اقاصيص السلاطين والعفاريت واحاديث التجار والكنوز المرصودة وحكايات الجان والسحرة ووقائع الشجعان مع الغيلان الى غير ذلك منمقة كلامها بسجع طويل

عريض ومزينة سيرها بالفاظ غريبه كنا نلذ جميعاً بسماعها وكنت اخالني (ساعة تأملي) اسمع عجوزتي تقول عند ذكرها سفر بطل قصتها « الله يعيننا ويعينه . على اختلاط مصارينه . وعلى المكتوب على جبيننا وجبينه » او « وصل لارض قفره . نفره . مافيها غير الله وحشيشة الخضرا » او عند طلب فتى القصة لفتاتها من ابيها « جيتك طالب . في بنتك راغب . لاتردني خائب » ثم جواب الاب له « جارية في مطبخك »

عند هذا انتقل فكري بغتة من اوهام الماضي الى حقائق الحال فقلت ياسبحان الله كيف تشرب الجيل الماضي وبعض هذا الجيل مبدأ اذلال المرأة في بلادنا الى درجة ان والدها ساعة قبوله بزواجها يسمح بها لجارية مطبخ فتأثرت جداً وقلت لعل في هذا الاعتقاد الراسخ سر خصومات كثيرة وقعت في كثير من البيوت لان الرجل غير المتعلم مازال يعتقد بسلطته المطلقة على المرأة والمرأة التي درست في بعض المدارس الاجنبية تقول بوجوب خضوعه لها اقتداء بالفرنجة والاميركان فقادني الفكر الى التاسف من انحطاط المرأة في الشرق وانحطاط الشرق بانحطاطها وبينما كان فكري في هذا السياق كان زوجي قد استفاق من نومه ولبس وقدم الى غرفة مكتبتي وبيده عدد من جريدة الرقيب الغراء فناولنيه مشيراً الى قطعة كتبت فيه عن المرأة الالمانية فقرات منها هذه الجملة

« ...ان الالمان يعتقدون ان النساء لايجب ان يشتغلن او يعتنين الا باربعة كافات وهي الالفاظ المبتدئة بحرف الكاف وبيانها « كيدر » ومعناها الملابس و « كيرخه » ومعناها الكنيسة و « كيندر » ومعناها الاولاد و « كوخه » ومعناها المطبخ اي ان هذه الامور الاربعة هي شواغل

النساء الالمانيات وما سواها فالاشتغال به من قبيل الفضول ...»

فتميزت نوعاً غير ان هذه الحرافة الالمانية مع تضييقها ميدان العمل على النساء قد خصتهم بثلاثة امور اخرى علاوة على المطبخ الذي حصرت فيه الحرافة الشرقية نساء الشرق ولكن كل ذلك لم يقلل املي في المستقبل السعيد الذي لابد فيه ان ينصف فيه النصف القوي المستبد من البشر النصف الضعيف الآخر

ولما فاتحت زوجي بما عن لي قال ما معناه : ان املي بعيد الوقوع لان في اخصامنا نحن معشر النساء رجال كعاهل الالمان ثم ذهب ليحضر لي جريدة اخرى ليطلعني على جواب الامبراطور غليوم لسيدتين اميركيتين زارتاه وحادثتاه بشأن النساء غير انه عاد الي وفي يديه ولداي قد نهضا من النوم واول ماطلباه لوحيهما الحجريين فقبلت اولا ولدي ، لانه الاكبر ، ثم قبلت ابنتي وقلت لها:

حياكما الله ياولدي وبياكما فاتمالم نسمعا حكايات ستي العجوز ، ولم تؤثر على مخيلتكما خرافات ليالي الشتاء وقد تعودتما على المودة والحنان الاخوي المتبادل واشتغلتما بل لعبتما سوية العاباً لم يمتز فيها الصبي منكما على البنت وامثالكما كثير في الشرق فليقل رجالة اليوم مايشاؤن فالحكم للمستقبل عندما تصيرون انتما وامثالكما رجال المستقبل ونساءه

فاعدت تقبيلهما ثم قمت لاكتب فسار القلم بما قد قرات فاثبته وقد ازدادت امالي رسوخاً حققها الله وارانا مواطئنا على مانشتهي ونحب اعني مجموع عائلات قد تآلف اعضاؤها فكان الاب فيها سنداً وكانت الوالدة شفوقة محبة مساوية للرجل دون تطلب المزيد وكان الاولاد محبين مطيعين